

مَنْ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَ "بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ"؟ دَعْوَةٌ لِقِرَاءَةِ أَعْمَالِ هِيرْمَانِ بَافِينِكِ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ*

بقلم: ويلام دا ويت (http://willemjdewit.com) Willem J. de Wit
كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة

"لَأَنَّه لَمْ يُرْسَلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَنَّ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ" (يُوْحَنَّا ٣: ١٧). يَنْعَزِلُ الرَّاهِبُ عَنِ الْعَالَمِ وَيَدِينُهُ، مِنْ خِلَالِ ذَهَابِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ فِي الصَّبَاحِ بَاكِرًا (مَرْفُوسٌ ١: ٣٥)، لِيُفَوِّيَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْيَوْمِيَّةِ وَالْحَيَاتِيَّةِ. لَكِنَّ الرَّاهِبَ يَرَى أَنَّ جَوْهَرَ الْفَضِيلَةِ يَكْمُنُ فِي الْمُمَارَسَاتِ التَّقَشُّفِيَّةِ نَفْسَهَا، فَيُحَوِّلُ الْوَسَائِلَ إِلَى غَايَاتٍ.
—هيرمان بافينك

مُقَدِّمَةٌ

"بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ"¹ ترجمة عربية لدراسة مُهمَّة للإيمان المسيحي، كتبها اللاهوتي الهولندي هيرمان بافينك Herman Bavinck (١٨٥٤-١٩٢١).²

* This article was originally written in English in 2012 and has been published as: Willem J. de Wit, "Who Wrote *Bayna al-'aql wa-al-īmān*? An Invitation to Read Herman Bavinck in the Middle East," *Cairo Journal of Theology* 1 (2014): 36-48, <http://journal.etsc.org>.

هذا المقال تم كتابته عام ٢٠١٢.
١ هيرمان بافينك، *بين العقل والإيمان*، ترجمة: عبد المسيح إسطفانوس، ٤ أجزاء (الولايات المتحدة: كلمة الحياة [الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل]، د.ت)،
<http://www.kalimatalhayat.com/doctrine/91-fajth-mind.html>.
باللغة الهولندية واللغة الإنجليزية:

Herman Bavinck, *Magnalia Dei: Onderwijzing in de Christelijke religie naar gereformeerde belijdenis* (Kampen: Kok, 1909), <http://www.archive.org/details/magnaliadeionder00bavi>; Herman Bavinck, *Our Reasonable Faith*, trans. H. Zylstra (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1956).

ويليام دا ويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

مازال هيرمان بافينك غير معروف نسبياً وسط الناطقين بلُغة الضاد؛ على الرَّغم من الاهتمام به مؤخراً في الدوائر المُصلحة والمشيخية في شمال أمريكا، مُروراً بإيطاليا وكوريا الجنوبية.^١ وهذا المقال بمثابة دعوة للمسيحيين في الشرق الأوسط لقراءة المزيد عنه وعمّا كتبه في اللُغة الإنجليزية (أو بالهولندية لمن يجيدها) وأيضاً للاهتمام بترجمة أعماله الأخرى إلى اللُغة العربية.^٢

العنوان الرئيسي في الطبعة الهولندية هو عبارة لاتينية تعني "أعمال الله العظيمة" قارن أعمال ٢: ١١؛ والعنوان الفرعي بالهولندية يُمكن ترجمته "إرشادات في الدين المسيحي طبقاً للعقيدة المُصلحة." تم اعتماد الترجمة الإنجليزية كأساس للطبعة العربية والصينية والكورية: Eric D. Bristley, *Guide to the Writings of Herman Bavinck* (1854–1921) (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage Books, 2008), 126–129.

المرجع السابق ذكره يُعتبر مُعيباً جيداً للوصول إلى كتابات بافينك، ويُقدّم نظرة عامة عن حياته وأعماله، وسيرة حياة بافينك ونظرة عامة لأعماله الثانوية في اللُغة الإنجليزية والهولندية. للاطلاع على المزيد من التعليقات، انظر:

Willem J. de Wit, *On the Way to the Living God: A Cathartic Reading of Herman Bavinck and an Invitation to Overcome the Plausibility Crisis of Christianity* (Amsterdam: VU University Press, 2011), 175–176, <http://willemjdewit.com/living-god/>.

للاطلاع على أحدث التطورات والمراجع في الدراسات المعنية بافينك، انظر موقع مؤسسة هيرمان بافينك بكنية لاهوت كاليفين: <http://bavinckinstitute.org/>، ويتم تحديث هذا الموقع دورياً، ويحتوي على وصلات مُباشرة لأعمال بافينك بالهولندية والإنجليزية ودراسات عن بافينك على الإنترنت. كما أنّه متوافر مجموعة أكبر من أعمال بافينك على الموقع: <http://www.neocalvinisme.nl/>.

٢ أهم سيرة حياة تم كتابتها عن بافينك هي:

R. H. Bremmer, *Herman Bavinck en zijn tijdgenoten* (Kampen: Kok, 1966); Ron Gleason, *Herman Bavinck: Pastor, Churchman, Statesman, and Theologian* (Phillipsburg, NJ: P&R Publishing, 2010); V. Hepp, Dr. *Herman Bavinck* (Amsterdam: Ten Have, 1921).

تم أخذ المعلومات الواردة في هذا المقال التي تتناول سيرة حياة بافينك، من برمر. انظر على سبيل المثال: ٣

John Bolt, "Herman Bavinck Speaks English," in Bristley, *Guide to the Writings of Herman Bavinck* (1854–1921), 28–39; Andrea Ferrari, "Bavinck in Italiaanse context," in *Ontmoetingen met Herman Bavinck*, ed. George Harinck and Gerrit Neven, AD Chartas-reeks 9, 119–124 (Barneveld: De Vuurbaak, 2006); Hae-Moo Yoo, "Herman Bavinck en de gereformeerde traditie in Korea," in Harinck and Neven, *Ontmoetingen met Herman Bavinck*, 125–141.

٤ إن لُغة بافينك البليغة التي ترجع لقرن مضي، تحتوي جُملاً طويلة نسبياً مزينة بالعديد من المترادفات، ولا يسهل ترجمتها إلى اللُغة الإنجليزية الأكاديمية المعاصرة، التي يُفضّل فيها

يُعتبر كتاب "بين العقل والإيمان" عمل هام بالنسبة للعقيدة المُصلحة/ والمسيحية، إلا أن الأعمال الكاملة لبافينك تشمل العديد من الكتابات الأخرى التي تُعد أكثر أهمية للفكر اللاهوتي.° وسوف يُقدّم هذا المقال القصير نبذة مُختصرة عن حياة بافينك؛ وبعضاً من مُراسلاته الشخصية؛ ونبذة عن أحد أهم أعماله، ألا وهو *Gereformeerde dogmatiek* [أي العقيدة المُصلحة]، الذي يتكوّن من أربعة مجلّدات. كما سيعرض المقال نظرة بافينك الشاملة للعالم والتعليم، وأفكاره بخصوص إتباع يسوع المسيح. يتناول المقال أيضاً مدى أهمية وملائمة هذه الموضوعات للقراء العرب والمصريين على وجه الخصوص.

حياة بافينك

وُلد بافينك في مدينة هوخفين Hoozeveer الهولندية، في ١٣ ديسمبر ١٨٥٤. لا ينتمي بافينك وعائلته إلى الكنيسة الرسمية المُصلحة في هولندية؛ بل إلى طائفة مُصلحة أصغر وأكثر محافظة من الناحية اللاهوتية. كان لهذه الطائفة كُلية لاهوتية خاصة بها في كمين Kampen. نشأت هذه الطائفة نتيجة الانفصال عن الكنيسة الرسمية عام ١٨٣٤، وكان والده واحداً من قساوستها. درّس بافينك في جامعة ليدن Leiden منذ عام ١٨٧٤ حتى ١٨٨٠ وكانت هذه الجامعة في ذلك الوقت هي الحصن المنيع ضد اللاهوت التحرري. وفي عام ١٨٨٠ أكمل بافينك دراسته عن الأخلاقيات في فكر اللاهوتي المُصلح هولندي زوينجلي Huldrych Zwingli (١٤٨٤-١٥٣١). ثم أصبح بافينك مُدرّساً في كامين، بعد أن قضى فترة كراعي مُدُّ عام ١٨٨١ حتى ١٨٨٢. وتزوج في عام ١٨٩١ من يوهنا أدريانا سخيپرس Johanna Adriana Schippers وبعد ثلاث سنوات أنجبا ابنتهما.

أبراهام كويپر Abraham Kuyper (١٨٣٧-١٩٢٠) - وهو لاهوتي هولندي شهير - أسس في عام ١٨٨٠ الجامعة الحرة Vrije Universiteit

استخدام أساليب أكثر إيجازاً وتحديداً؛ ولكن في الواقع يمكن ترجمتها إلى لغة عربية جميلة حديثة.

٥ يرى برمر أن الطبعة الهولندية من كتاب "بين العقل والإيمان" أنها "ليست أخاذة ولا جذابة": Bremmer, *Herman Bavinck en zijn tijdgenoten*, 249.

٦ هذا الجزء هو مُختصر لما ورد في: De Wit, *On the Way*, 17-19.

ويلام داويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

بأمستردام.^٧ وفي عام ١٨٦٦ كان واحدًا من قادة الانشقاق الثاني عن الكنيسة الهولندية المصلحة. ثم في عام ١٨٩٢ اتحدت معظم الكنائس التي انفصلت عامي ١٨٣٤ و١٨٨٦، ليكونوا الكنائس المصلحة في هولندا.^٨ يوجد مكانان لتدريب الرعاة حاليًا في هذه الكنيسة الجديدة: كلية لاهوت كمين وكلية لاهوت الجامعة الحرة. وبذل بافينك جهودًا مضنية لدمج الكليتين، ولكن عندما بائت محاولاته بالفشل، انتقل عام ١٩٠٢ إلى أمستردام، وأصبح مدرسًا في الجامعة الحرة خلفًا لكوپر، الذي أصبح رئيس وزراء هولندا عام ١٩٠١. وفي عام ١٩١١ أصبح بافينك نفسه عضوًا في البرلمان الهولندي وثقفي في ٢٩ يوليو ١٩٢١.

على الرغم من أن تاريخ الكنيسة الهولندية لا يعني الكثير بالنسبة لمن يقرأ أعمال بافينك - في مختلف بقاع العالم - إلا أنه يسهل على المسيحيين البروتستانت في الشرق الأوسط أن يتوحدوا به؛ وهذا يرجع إلى أن بافينك لا يعتبر نفسه ممثلًا للثقافة السائدة في وقته، بل ممثلًا لثقافة فرعية أو مناهضة تابعة إلى الأقلية. إذ قد تأسل بافينك في ثقافة الانفصال ("أنا ابن للانفصال، وأتمنى أن أظل هكذا").^٩

المراسلات

"هل سأظل ثابتًا؟ الله وحده الذي يضمن هذا،" كتب بافينك هذه العبارة في مذكراته في ٢٣ سبتمبر ١٨٧٤ يوم وصله إلى ليدن لدراسة اللاهوت. إن الصراع من أجل الثبات كمسيحي، يُشكل الثمة التي تكمن وراء العديد من أعمال بافينك، بل ويظهر بوضوح أكثر في عدد من رسائله؛ يتزامن هذا مع تحول العديد من معاصريه عن الإيمان المسيحي في هذا الوقت.

٧ الاسم الرسمي الإنجليزي الآن: "VU University Amsterdam".

٨ في هولندا كان انفصال عام ١٨٣٤ يُدعى عادة "Afscheiding"، أما انفصال عام ١٨٨٦ فيُدعى "Doleantie". وفي عام ٢٠٠٤ انتهى تاريخ الانفصالات جزئيًا، عندما اتحدت الكنيسة المصلحة الهولندية والكنائس المصلحة في هولندا، ليكونا الكنيسة البروتستانتية في هولندا. وبالرغم من هذا، إلا أنه منذ القرن ١٩ نشأت العديد من الطوائف المصلحة، الأمر الذي يُعد استمرارًا لتقليد الانفصال. وبما أن بافينك يُعتبر ابنًا للانفصال؛ فيمكن اعتباره أبا للكنيسة البروتستانتية في هولندا وكذلك للطوائف المصلحة الأخرى.

9 C. Veenhof, "Uit het leven van de Theologische Hogeschool 6," *De Reformatie* 30 (1955): 123-124.

إنّ مراسلات بافينك مع كريستيان سنوك هرخرونيا Christiaan Snouck Hurgronje (١٨٥٧-١٩٣٦)، تُعَدُّ نُقْطَةً بِدَايَةِ مُنَاسِبَةٍ لِمَنْ يُرِيدُ قِرَاءَةَ أَعْمَالِ بَافِينِك. أَصْبَحَ بَافِينِكُ وَكْرِيسْتِيَانُ صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ أَتْنَاءَ الدِّرَاسَةِ فِي لَيْدِنَ، وَسَيُصْبِحُ كْرِيسْتِيَانُ وَاحِدًا مِنَ الرُّوَادِ الغَرِيبِيِّينَ المُتَخَصِّصِينَ فِي الدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ زِيَارَتَكَ لِمَكَّةَ عَامَ ١٨٨٥ جَعَلْتَهُ ذَائِعَ الصَّيْتِ فِي أوروپَا.^{١٠} اسْتَمَرَّتْ صِدَاقَتُهُمَا حَتَّى وَفَاةِ بَافِينِكِ. وَبَيْنَمَا تُزَوِّدُنَا هَذِهِ المُرَاسَلَاتِ بِفِكْرَةٍ عَنِ رَأْيِ بَافِينِكِ بِخُصُوصِ الإِسْلَامِ،^{١١} إِلاَّ أَنَّهُا تُعَلِّمُنَا أَيضًا أَنَّ حَتَّى (أَوْ قُلْ قُلْ خَاصَّةً) الرِّعَايِ وَاللَّاهُوتِيَّ قَدْ يُعَانِي صِرَاعًا مَعَ الشَّكِّ وَالفُتُورِ. فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، يَكْتُبُ بَافِينِكُ مُفَكِّرًا فِي دِرَاسَتِهِ بَلِيدِنَ:

إنّ براءة إيمان الطفل، مِنْ الثِّقَّةِ الكَامِلَةِ بِالحَقِّ الَّذِي انْعَرَسَ دَاخِلِي -يُمْكِنُكَ مَلاحِظَةُ- أَنَّ هَذَا مَا فَقدْتَهُ بِالدَّاتِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَيْسَ بِالهِينِ، لَيْسَ بِالهِينِ. . . .
أَعْلَمُ أَنَّنِي لَنْ اسْتَعِيدَ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى. . . . فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، وَبَيْنَمَا أَقَابِلُ -فِي الكَنِيسَةِ- بَعْضَ الأَشْخَاصِ، الَّذِيْنَ مَازَالُوا يَحْتَفِظُونَ بِبِرَاءَةِ إِيمَانِهِمْ وَيَسْلُكُونَ بِمَقْتَضَاهِ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ، فَاتَمَّنَى لَوْ أَنَّنِي اسْتَطَعْتُ الإِيمَانَ مُجَدِّدًا مِثْلَهُمْ بِبَهْجَةٍ وَفَرَحٍ. وَأَشْعُرُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَدَيَّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الإِيمَانِ وَكُنْتُ أَعْظُ بِحَرَارَةٍ وَحَيَوِيَّةٍ، مُقْتَنِعًا دَائِمًا بِمَا كُنْتُ أَقُولُ، فَحَقًّا لِأَصْبَحْتُ قَوِيًّا وَقَادِرًا، وَقَتَّهَا فَقَطْ، لَصَرْتُ مُفِيدًا، أَعِيشَ حَقِيقَةً ذَاتِي وَأَعِيشَ لِأَجْلِ الأَخْرَيْنِ.
وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ قَدْ انْتَهَى، وَأَمْسَى مُسْتَحِيلًا.^{١٢}

١٠ تم نشر المراسلات التي دارت بين بافينك و سنوك هرخرونيا:

Herman Bavinck and Christiaan Snouck Hurgronje, *Een Leidse vriendschap: De briefwisseling tussen Herman Bavinck en Christiaan Snouck Hurgronje*, 1875-1821, ed. J. de Bruijn and G. Harinck, Pas-sage Reeks 11 (Baarn: Ten Have, 1999).

يُقدِّم *On the Way* ترجمة إنجليزية لأجزاء عدّة من هذه المراسلات.

١١ للإطلاع على آراء بافينك عن الإسلام، انظر:

Dirk van Keulen, *Een blok aan het been? Gereformeerde mannenbroeders in debat over de islam* (Zoetermeer: Boekencentrum, 2011); Anton Wessels, "Bavinck en de islam," in Harinck and Neven, *Ontmoetingen met Bavinck*, 63-85; P. S. van Koningsveld, "Bavincks bijdrage aan de studie van de islam in gereformeerde kring," *Radix* 25 (1999): 62-67.

١٢ بافينك إلى سنوك هرخرونيا، ١٣ يناير ١٨٨١؛ الترجمة الإنجليزية في:

De Wit, *On the Way*, 28-29; George Harinck, "'Something That Must Remain, If the Truth Is to Be Sweet and Precious to Us': The Reformed Spirituality of Herman Bavinck," *Calvin Theological Journal* 38 (2003): 253-254.

ويلام دا ويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

وبعد عدة سنوات يعترف بافينك، قائلاً:

أحياناً ألاحظ وازعاً في قرارة نفسي، بأن الكتاب المقدس قد لا يكون دقيقاً؛ وأن النقد الحديث قد يكون على حق. وفي هذا أرى شيئاً من الحق الباطني الذي يكتنه القلب الخاطيء تجاه الرب الواحد القدوس. إلا أن هذا الحق يمكن التغلب عليه بالإيمان والصلاة فقط. . . . خيرة الارتباط والتواصل مع الآخرين، هي التي تربطني بالكتاب المقدس وبالإقرار الإيماني. رغم أن لدي اعتراضات ضد المسيحية تدور في خلدي مثلك تماماً.¹³

وهذا لا يعني أن بافينك ارتد عن إيمانه أو أنه كان دائم الصراع. فيذكر أحد طلابه عنه، قائلاً:

لقد قام بالكثير جداً، أكثر من مجرد التدريس. فكمسيحي، كان قادراً على أن يجعل المرء يشعر بعمق ومجد إعلان الله في المسيح؛ أن يدرك محدودية الأشياء الزائلة مقارنةً بالتي هي أبدية؛ أن يتطلع للمعرفة—حتى وإن كانت معرفة جزئية—إلى أن يجيء ذلك اليوم الذي سنعلن فيه جميع الأسرار. يحملك بافينك معه بعيداً لتجنّب على ركبتيك أمام عرش الحمل.¹⁴

يُمكن لخطابات بافينك أن تُقدّم للقراء مرآة، فيواجهون فيها صراعاتهم الشخصية. كما أن خطابه تجعل الجميع يشترك معاً في هذه الصراعات. فمثلاً، يُمكن للطلاب أو الرعاة أن يتناقشوا حول الأسئلة—التي عادةً—يصعب مشاركتها وطرحها بسهولة.

العقائد

إن مساهمة بافينك الرئيسية في اللاهوت المصلح تتلخص في الأربعة مجلدات التي بعنوان *Gereformeerde Dogmatiek* [أي العقيدة المصلحة]. تم نشر هذا العمل لأول مرة منذ عام ١٨٩٥ إلى ١٩٠١، ثم تم تحريره منذ عام ١٩٠٦ إلى ١٩١١، ونُشر باللغّة الإنجليزيّة تحت عنوان *Reformed Dogmatics* منذ عام ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٨، وباللغّة الكوريّة في عام ٢٠١١.¹⁵

¹³ بافينك إلى سنوك هرخرونيا، ٢٢ ديسمبر ١٨٨٨؛ De Wit, *On the Way*, 29–31.

¹⁴ H. W. van der Vaart Smit, "De dogmatische betekenis van Dr H. Bavinck," *Vox theologica* 8 (1936): 43; De Wit, *On the Way*, 36.

¹⁵ Herman Bavinck, *Gereformeerde dogmatiek*, 4 vols. (Kampen: Bos, 1895–1901), <http://www.neocalvinisme.nl/>; *Gereformeerde dogmatiek*, 4 vols., 2nd ed. (Kampen: Bos [vol. 1, 2], Kok [vol. 3, 4], 1906–

في حين كان بافيناك ضليعاً في اللاهوت المُصلح الخاص بالقرن السادس عشر والسابع عشر، إلا أنه كان أيضاً لديه انجذاباً واضحاً بالفكر الأبائي وفكر العصر الوسيط: "أناس مثل إرينينيوس وأغسطينوس وتوما الأكويني لا يقتصرون فقط على كنيسة روما. فهم آباء ومُعلّمون تدين لهم الكنيسة المسيحية جُلّها"^{١٦} هذا الأساس "الكاثوليكي" (الجامع والمسكوني) قد يجعل من دراسة أعمال بافيناك أمراً مقبولاً حتى لدى الكنائس الأرثوذكسية في الشرق الأوسط. اضِف إلى هذا، أنّ بافيناك لا يرى الكالفينية تمتلك الحق المُطلق ("للتطوّر المسيحية الأمريكية طبقاً لقانونها الخاص. . . . بكل تأكيد، الكالفينية ليست هي الحقّ الوحيدة!")^{١٧} وتكلّم عن چون وسلي^{١٨} بكلّ تقدير، في معرض حديثه عن إسرائيل والمُلك الألفي في الفصل الخاص بالأخرويات (الإسختولوجي)، تابِعاً التّقيّد المُصلح/المسيحي. كما قد يكون بافيناك محط اهتمام المعنّيين بدراسة تأثير الفكر التّديبري على البروتستانت في العالم العربيّ.

من أكثر العقائد التي تسترعي الانتباه عند بافيناك هي عقيدته بخصوص الكتاب المُقدّس.^{١٩} وبالرّغم من تصريحه قبل وفاته بأنّ "إشكاليّة الكتاب

1911); *Reformed Dogmatics*, 4 vols., ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003–2008).

16 Bavinck, *Gereformeerde dogmatiek* (1895), 1:iii; De Wit, *On the Way*, 47.

17 Herman Bavinck, *Mijne reis naar Amerika*, ed. George Harinck (Barneveld: De Vuurbaak, 1998), 58; De Wit, *On the Way*, 44.

18 De Wit, *On the Way*, 50–51.

19 Jan Veenhof, *Revelatie en inspiratie: De openbarings- en schriftbeschouwing van Herman Bavinck in vergelijking met die der ethische theologie* (Amsterdam: Buijten & Schipperheijn, 1968); Dirk van Keulen, *Bijbel en dogmatiek: Schriftbeschouwing en schriftgebruik in het dogmatisch werk van A. Kuyper, H. Bavinck en G. C. Berkouwer* (Kampen: Kok, 2003), 68–225.

الصفحات ٦٩–٧٠ تُعطي نظرة شاملة للمؤلفات التي تتناول عقيدة بافيناك الخاصة بالكتاب المُقدّس؛ فهذا العمل مثله مثل دراسة Veenhof، يحتوي على مُلخّص بالغة الإنجليزية.

Henk van den Belt, "Autopistia: The Self-Convincing Authority of Scripture in Reformed Theology" (Proefschrift [doctoral thesis], Leiden University, 2006), 249–314, <https://openaccess.leidenuniv.nl/handle/1887/4582>; Henk van den Belt, *The Authority of Scripture in Reformed Theology: Truth and Trust*, Studies in Reformed Theology 17 (Leiden: Brill, 2008); Richard B. Gaffin, *God's Word in Servant*

ويلام دا ويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

المُقدّس " لم تُحلّ بعد؛^{٢٠} إلا أنّ إسهاماته تُعدّ مهمّة للتخلّص من فكرة الوحي الميكانيكيّ ("الإملانيّ") واستبدالها بفكرة الوحي العضويّ (الحيويّ)، التي تضع في الاعتبار الظروف الخاصة والشخصيات المختلفة لكتاب الأسفار الكتابيّة؛ بدون تجريد الكتاب المُقدّس من سلطانه ككلمة الله. في رأيي، يُمكن لبافينك مُساعدة المسيحيّين في صياغة مفهومهم اللاهوتيّ المُتميز عن الوحي، في سياق تُسيطر فيه فكرة الوحي المُنزّل.

وفي نفس الوقت الذي تُعتبَر فيه فكرة "الاتحاد السريّ بالمسيح" على أنّها محور عقائد بافينك^{٢١} – رغم أهميّتها في حياته الرُحيّة^{٢٢} – إلا أنّ ثمة عبارة تتكرّر أكثر وتُعتبَر هي محور عقائده، ألا وهي: "إنّ النعمة تستردّ (تُجدد) الطّبيعة."^{٢٣} بناءً على فكر بافينك، فإنّ النعمة لا تعزلنا عن الحياة (الأرضيّة) عموماً، بل إنّها تستردّها وتفتديها من نتائج الخطيّة وتقودها في النّهاية الى الاكتمال.

نظرة الشاملة والتعليم

ورغم إنّ بافينك يشتهر أكثر بعمله "العقائد المُصلحة" فهو لا يرى العقائد على أنّها هدف وجود المسيحيّة وغايتها. ففي رأيه إنّ المسيحيين (المُصلحين) عليهم الانخراط في كلّ مناحي الثقافة. فيكُتَب في مقالٍ سابق:

Form: Abraham Kuyper and Herman Bavinck and the Doctrine of Scripture (Jackson, MS: Reformed Academic Press, 2008).

- 20 Hepp, *Dr. Herman Bavinck*, 331; De Wit, *On the Way*, 77–82.
- 21 Ron Gleason, "The Centrality of the *unio mystica* in the Theology of Herman Bavinck" (Ph.D. dissertation, Westminster Theological Seminary, 2001). Cf. Hans Burger, "Een eeuwigdurende verbondenheid: Bavincks concept van de *unio mystica*," in Harinck and Neven, *Ontmoetingen met Herman Bavinck*, 265–286; Hans Burger, *Being in Christ: A Biblical and Systematic Investigation in a Reformed Perspective* (Eugene, OR: Wipf & Stock, 2009), 87–139.
- 22 De Wit, *On the Way*, 34.
- 23 Jan Veenhof, *The Relationship between Nature and Grace According to H. Bavinck*, Wetenskaplike bydraes, series F1, no. 322 (Potchefstroom: Potchefstroomse Universiteit vir Christelike Hoër Onderwys, 1994). Cf. Syd Hielema, "Herman Bavinck's Eschatological Understanding of Redemption" (Th. D. thesis, Wycliffe College [Toronto School of Theology], 1998); De Wit, *On the Way*, 87 n132.

الإصلاح هو نظرة شاملة للعالم والحياة. فالإصلاح يضع الإنسانية في علاقة خاصة مع الله، وبالتالي يضع الإنسان في علاقة خاصة تجاه كل شيء؛ تجاه العائلة والدولة والمجتمع والفن والعلم والخ. بالإضافة إلى المبادئ العقائدية، فثمة مبادئ أخلاقية وسياسية واجتماعية وعلمية وجمالية إبداعية. حتى إن المبادئ المصلحة تُضفي بصماتها الخاصة على كل شيء موجد.^{٢٤}

هذه الكلمات تُساهم فيما سيكتبه باقينك لاحقاً، خاصة أثناء العقدين الأخيرين من حياته. يُمكن اعتبار كتابه *Christelijke werelddeshouwing* [نظرة مسيحية شاملة]^{٢٥} الذي نُشره عام ١٩٠٤، وكذلك العديد من أعماله الأخرى على أنها توضيحات مُفصلة لوجهة نظره المسيحية الشاملة لمناحي خاصة في الحياة؛ مثل العائلة، الأخلاق، العلم، العلاقات الاجتماعية وعلوم الجمال، ومجموعة من مقالاته في هذه الصدد تم نشرها بالإنجليزية.^{٢٦}

أما كتاباته عن التعليم المسيحي فتستحق اهتماماً خاصاً. إذ يُعتبر كتابه *Paedagogische beginselen* [مبادئ التعليم] المرجع للفلسفة المسيحية في التعليم.^{٢٧} إذ يُماثل هذا العمل كتاب "المبادئ" لكالفن في اللاهوت.^{٢٨} وتفاعلاً مع

- 24 Herman Bavinck, "De wetenschappelijke roeping onzer kerk," *De Vrije Kerk* 8 (1882): 104, <http://www.neocalvinisme.nl/>.
- 25 Herman Bavinck, *Christelijke werelddeshouwing: Rede bij de overdracht van het rectoraat aan de Vrije Universiteit te Amsterdam op 20 oktober 1904* (Kampen: Bos, 1904), <http://www.neocalvinisme.nl/>; Herman Bavinck, *Christliche Weltanschauung*, trans. H. Cuntz (Heidelberg: Winter, 1907).
- 26 Herman Bavinck, *Essays on Religion, Science, and Society*, ed. John Bolt, trans. Harry Boonstra and Gerrit Sheeres (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2008). Cf. Herman Bavinck, "General Biblical Principles and the Relevance of Concrete Mosaic Law for the Social Question Today (1891)," trans. John Bolt, *Journal of Markets & Morality* 13 (2010): 437–446, <http://www.marketsandmorality.com/index.php/mandm/article/view/103/97>; John Bolt, "Herman Bavinck's Contribution to Christian Social Consciousness," *Journal of Markets & Morality* 13 (2010), 413–436, <http://www.marketsandmorality.com/index.php/mandm/article/view/102/96>.
- 27 Herman Bavinck, *Paedagogische beginselen* (Kampen: Kok, 1904). Cf. C. Jaarsma, *The Educational Philosophy of Herman Bavinck: A Textbook in Education* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1935); J. Brederveld, *Christian Education: A Summary and Critical Discussion of Bavinck's Pedagogical Principles* (Grand Rapids, MI: Smitten, 1928).

ويلام داويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

النظريات التعليمية الرائدة في عصره، فقد طوّرت نظرة مسيحية متميزة بخصوص هدف التعليم ونقطة انطلاقه واسلوبه. وكان ثمة نص كتابي مفتاحي بالنسبة لبافينك، ألا وهو: "لكي يكون إنسان الله كاملاً، مُتأهباً لكل عمل صالح" ٢ تيموثاوس ٣: ١٧.

سواء كنا مُتفقين أو مُختلفين مع آراء بافينك، فإن كتاباته قد تُلهم المسيحيين بحقيقة أنه من الممكن الوصول لفكرة جوهرية عن التعليم، من منظور مسيحي. كما أنّ كتابات بافينك يُمكن أن تُشجع المسيحيين للتفكير ولتكوين نموذجهم التعليمي الخاص؛ وسط ثقافة تسعى فيها بعض الجماعات لوضع بصمة إسلامية فارقة على التعليم المدرسي.

إتباع يسوع المسيح

إن موضوع إتباع يسوع المسيح له أهمية كبرى في حياة بافينك. فقد كتب في يومياته مراراً وتكراراً، أثناء دراسته في ليدن، معبراً عن رجائه في أن يكون "مستحقاً لإتباع يسوع".^{٢٩} وفي سلسلة من مقالات له بين عامي ١٨٨٥-١٨٨٦، كتب مرتين عن "الاقتراد بالمسيح" (إتباع المسيح) وكذلك في بحث قصير عام ١٩١٨. وفي عام ١٨٨٦ انتقد النموذج الرهباني في الاقتراد: "يسوع لم يأت ليدين العالم بل ليخلص العالم (يوحنا ٣: ١٧). ينعزل الراهب عن العالم ودينه، من خلال ذهابه إلى الصحراء. أما يسوع فقد عزّل نفسه وذهب إلى موضع خلاء في الصباح باكراً (مرقس ١: ٣٥)، ليُفوي نفسه على الأعمال اليومية والحياتية".^{٣٠}

ومع أن تعليق بافينك على الراهب في الصحراء قد يُدلل على أنه يقصد القديس أنطونيوس والكنيسة القبطية الأرثوذكسية؛ لكن على الأرجح أنه يقصد بكلمة "الراهب" الإشارة إلى الكثيرين من طائفته المُصلحة الذين في رأيهم يفكرون بشكل انعزالي وإقصائي شديد.^{٣١} ويرى بافينك أنّ الرغبة في الانعزال عن العالم تتمثل في كُلية لاهوت كمين: حيث أنّها لم تكن جامعة، ولكنها كانت

28 A. B. W. M. Kok, *Dr Herman Bavinck* (Amsterdam: Bakker, 1945), 74.

29 Bremmer, *Herman Bavinck en zijn tijdgenoten*, 32.

30 Herman Bavinck, "De navolging van Christus," *De Vrije Kerk* 11 (1886): 322, <http://www.neocalvinisme.nl/>; De Wit, *On the Way*, 43.

٣١ بافينك إلى سنوك هرخرونيا، ٢٣ ديسمبر ١٨٨٤؛ 124 *Een Leidse vriendschap*.

مُجَرَّد معهد تعليمي لاهوتي مُنْفَصِل؛ وَلَمْ تُكُنْ كُليَّة اللاهوت هذه واقعة في وَسَط مدينة بالفعل، بل في مُجَرَّد بلدة كَمِين الصغيرة. ولكن، بالنسبة له، فكان النموذج الأُمثَل هو جامعة مسيحية، وَقَدْ رأى هذا النموذج يتَحَقَّق جُزئياً في "الجامعة الحرة"^{٣٢} في كتاباته لصديقه سنوك هرخرونيا نَبَّر على أن يَعْمَل على كاثوليكية (أي شمولية) الإيمان المسيحي—بمعنى ارتباط الإيمان المسيحي بكلِّ مناحي الحياة—كان المُراد بهذه الكاثوليكية أن تكون كـ"دواء ضدَّ الميول الانفصالية والطائفية (المذهبية) التي تظهر أحياناً في كنائسنا." ويُضيف قائلاً: "يوجد في وسطنا الكثير من الرجعية (ضيق الأفق) والخدع (الرياء)، بل وأدهى من ذلك، أن تُعْتَبَر هذه الأشياء تقوى."^{٣٣}

قام بأفينك في عام ١٩٠٠ بعرض كتاب للكاتب الشهير تشارلز شيلدون Charles Sheldon يحمل اسم "في خطواته: ماذا كان سيفعل يسوع؟" ولاحظ بأفينك أن السؤال المطروح في عنوان الفرعي للكتاب، ليس في محله؛ فيقول:

لم يتولَّى يسوع منصباً في المُجتمَع، ولم يتبوأ وظيفة في الكنيسة أو المجمع. لم يكن يسوع زوجاً ولا أباً لعائلة، ولا مُزارعاً ولا تاجراً، ولا عالماً ولا فناناً. . . . بل كان بالتأكيد أكثر من كُلِّ هذا بكثير، إذ كان فادي الخُطاة ومُخَلِّص العالم.

ولهذا السَّبب فالسؤال "ماذا سيفعل يسوع لو كان مكاني؟" ليس سؤالاً في محله. . . .

. . . فإن لم يستطع المرء تخيل يسوع زوجاً أو أباً لعائلة—وهو أمر يصعب تخيله حقاً—فقد يقرّر المرء أن يتخلى عن الزواج أو يهجر عائلته، ولا يفعل شيئاً سوى التحوّل في بلدته ليعط ويعمل المعجزات.

٣٢ بأفينك إلى سنوك هرخرونيا، ٢٣ ديسمبر ١٨٨٤؛ De Wit, *On the Way*, 43.
٣٣ بأفينك إلى سنوك هرخرونيا، ٢٢ ديسمبر ١٨٨٨؛ De Wit, *On the Way*, 29–30. يشرح بأفينك في هذه الفقرة لصديقه سنوك هرخرونيا دوافعه عن طباعة مُحاضراته التي باسم "كاثوليكية المسيحية والكنيسة":

Herman Bavinck, *De katholiciteit van christendom en kerk: Rede bij de overdracht van het rectoraat aan de Theol. School te Kampen, op 18 dec. 1888* (Kampen: Zalsman, 1888), <http://www.neocalvinisme.nl/>; Herman Bavinck, "The Catholicity of Christianity and the Church," trans. John Bolt, *Calvin Theological Journal* 27 (1992): 220–251.

هذا العمل تمّ إطلاق عليه اسم: "دراسة بأفينك الرئيسية للاهوت العام؛ انظر:

Kees van der Kooi, "Inleiding," in *Gereformeerde katholiciteit 1888–1918*, by Herman Bavinck, *Klassiek Licht*, 9–16 (Barneveld: Nederlands Dagblad, 2008), 12–13.

ويلام دا ويت: من الذي كتب كتاب "بين العقل والإيمان"؟

... لكن المعنى الحقيقي لإتباع يسوع ليس في تقليده ولا نسخه؛ [ولكن يعني] أننا كأولاد الله—كُلَّ حُرِّيَّةٍ واستقلاليَّةٍ، في سياق ظروفنا وعلاقاتنا الشخصيّة، حتّى وإن كُنَّا الأمر أعظم إنكار للذات وحَمَلْ أَثْقَلْ صَلِيبِ—نعمل إرادة الله التي عملها المسيح... بالتَّمام والكمال. لأنَّ كُلَّ مَنْ يعمل إرادة الله هو ليسوع أَحَا وَأَخْنَا وَأُمًّا.^{٣٤}

وخلال العِدَّةِ الأوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشرين، ناقش بافينك بكثرة موضوع أن الإيمان المسيحيّ هو صِرَعٌ على المُستوى العَقْلانيّ والأكاديميّ؛ ونتج عن هذا الصِّراع مجموعة مُحاضرات له، في عام ١٩٠٨، بعنوان "فلسفة الإعلان".^{٣٥} وفي نَشْرَةِ بخصوص إتباع المسيح—بعد هذا بعشر سنوات، وإبان السَّنَةِ الرَّابِعة للحرب العالميَّةِ الأولى، إذ كان عضوًا في البرلمان الهولنديّ لمدَّة سبع سنوات—حدّد بافينك الأزمة الأوَّليَّة للمسيحيَّة في الأخلاقيَّات الحياتيَّة اليوميَّة، أكثر من كونها أزمة سياق أكاديميّ:

تجتمع كُلُّ هذه التساؤلات معًا في السؤال الخاص باتباع المسيح والحياء في العالم الحاضر. فهل لهذه التَّبعية مكان في الحياة الثقافيَّة المُعاصرة؟ هل مازال بإمكان الناس أن يأخذوا هذا الموضوع مأخذ الجدّ في الدولة، والصِّناعة والأعمال والأسواق والبورصة والبنوك والمكاتب والمصانع، وكذلك في العِلْمِ والفنِّ وفي الجبهة الأماميَّة في الحرب؟^{٣٦}

- 34 Herman Bavinck, "Wat zou Jezus doen?" *De Bazuin* 48 no. 8 (1900).
٣٥ "في هذا الكتاب [*The Philosophy of Revelation*] نرى الصِّراع الدائر في حياة بافينك الشخصيّة، مع الإيمان المسيحيّ بالإعلان والمؤمنين بالنِّشوء—الارتقاء، والفلسفة الوضعيَّة الخاصة بالقرون التاسع عشر. هذا يُعطي الكتاب، والكثير من أعماله الأخرى، سِمَةً وجوديَّة": Bremmer, *Herman Bavinck en zijn tijdgenoten*, 251. لتحليل المُحاضرة العاشرة من هذا العمل، انظر: De Wit, *On the Way*, 60–77. ألقى بافينك مُعظم المُحاضرات التي أُدرِجَت في هذا الكتاب، كسلسلة مُحاضرات ستون (Stone Lectures) في كليَّة لاهوت برينستون عام ١٩٠٨، وسُرْعان ما تمَّ نشرها باليهولنديَّة والإنجليزيَّة والألمانيَّة، وفي عام ٢٠٠٤ تمَّ نشرها بالإيطاليَّة أيضًا.
- Herman Bavinck, *Wijsbegeerte der openbaring: Stone-lezingen voor het jaar 1908, gehouden te Princeton N. J.* (Kampen: Kok, 1908), <http://www.neocalvinisme.nl/>; Herman Bavinck, *The Philosophy of Revelation: The Stone Lectures for 1908–1909; Princeton Theological Seminary* (New York: Longmans Green, 1909), <http://www.archive.org/details/philosophyrevel00bavigoog>.
- 36 Herman Bavinck, *De navolging van Christus en het moderne leven* (Kampen: Kok, 1918), 7, <http://www.neocalvinisme.nl/>; Herman Bavinck, "De navolging van Christus en het moderne leven," in *Kennis en leven: Opstellen en artikelen uit vroegere jaren*, by Bavinck, 115–

وبينما كان بافنيك مُنتقدًا لروح الثورة الفرنسية،^{٣٧} إلا أنه من الصعب توقُّع موقفه تجاه الثورة المصرية ٢٠١١. ومع ذلك، فمن الواضح أنه كان ليوصي المسيحيين بالألا يعتزلوا العالم في أديرة الأنبا بولا والقديس أنطونيوس، إلا لمجرد فترة قصيرة للتعافي. ولا يسحبوا أنفسهم داخل أسوار كُليات اللاهوت أو الكنيسة البروتستانتية؛ بل أن يواجهوا السؤال بقدر صعوبته: ما هو معنى إتباع يسوع المسيح في ميدان التحرير، في ظلّ نظام مازال هُشًا وعُرْضة للفساد؟ أو في مُناخ عام يُسيطر عليه ديانة أُخرى—ربما الآن أكثر من ذي قبل؟

144 (Kampen: Kok, 1922), 120, <http://www.neocalvinisme.nl/>; cf. Herman Bavinck, "The Imitation of Christ II (1918)," trans. John Bolt, in *A Theological Analysis of Herman Bavinck's Two Essays on the Imitatio Christi: Between Pietism and Modernism*, by John Bolt, 402–440 (Lewiston: Edwin Mellen Press, 2013), 409.

تم مناقشة الفقرة المذكورة باختصار في: De Wit, *On the Way*, 80. للإطلاع على وجهة نظر بافنيك عن إتباع المسيح، انظر أيضًا:

John Bolt, *A Theological Analysis of Herman Bavinck's Two Essays on the Imitatio Christi*; Dirk van Keulen, "Herman Bavinck on the Imitation of Christ," *Scottish Bulletin of Evangelical Theology* 29 (2011): 78–91.

^{٣٧} على سبيل المثال، كتب بافنيك تمهيدًا لعمل هولندي "كلاسيكي" عن عدم الإيمان والثورة: Herman Bavinck, "Voorrede," in *Ongeloof en revolutie*, by G. Groen van Prinsterer, 3rd ed., v–xiii (Kampen: Bos, 1904).